

أرض الأنبياء

هذه الأرض المباركة التي تحدث عنها القرآن الكريم هي أرض الأنبياء ، يتحدث عنها القرآن الكريم ، ويجعلها محوراً أساسياً في قصص العديد من الأنبياء الذين ارتبطت رسالتهم بهذه الأرض ، أو كان لهم عليها موقف ، أو كان الوصول إليها هدفاً من أهدافهم في دعوتهم لقومهم .

ونحن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين من رب العالمين ، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥) .

فمن شرط إسلام المرء أن يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين ، وهذه الأمة هل أولى الأمم بجميع الأنبياء المرسلين : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٨) .

وتراث جميع الأنبياء هو تراث لهذه الأمة ، تراثه كما ورثت عنهم التوحيد ومقدسات جميع الأنبياء هي مقدسات لهذه

الأمّة الخاتمة ، الشاهدة لجميع الأنبياء بأنهم بلغوا رسالات ربهم سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

والقرآن والسنة يجعلان لجميع الأنبياء والمرسلين مكانتهم التي تليق بهم في قلوب المسلمين ويربط بيننا وبين جميع الأنبياء برباط وثيق يوجب على هذه الأمة الدفاع عنهم جميعاً ، ويحمل الأمة مسئولية ميراثهم وحماية مقدساتهم .

ومن يقرأ القرآن بقلبٍ حاضر يجد أن القرآن الكريم يتحدث عن بيت المقدس من خلال قصص الأنبياء ، ويتحدث عن هذه الأرض المباركة في سائر مراحلها قوة وضعفاً فيتحدث عنها في عصر سيادتها ، في عهد سليمان عليه السلام .

وكذلك يتحدث عنها وقت خرابها في فترة الأسر البابلي ، ويلفت أنظار المؤمنين تجاه هذه الأرض المباركة وينوه بشأنها من خلال الأحداث الواقعة على أرضها ، وفي جو سمائها ومع جبالها وأحجارها وأشجارها ، والطير في جوها ، والجن يغوص في قعرها كذلك .

مما لا يتاح لغيرها من الأرض بل إن الناظر إلى القرآن الكريم يجد أن بيت المقدس هو أكثر بقعة على وجه الأرض ، يتحدث عنها القرآن ، وذلك اهتماماً بشأن هذه الأرض

المقدسة فارتبط الكثير من قصص الأنبياء بهذه الأرض المباركة حقاً إنها أرض الأنبياء .

ومن أوائل الأنبياء الذين ارتبط ذكرهم بهذه الأرض المباركة في مرحلة من مراحل حياته ، نبي الله إبراهيم عليه السلام .

حيث يتحدث القرآن الكريم عن الأرض التي قدر الله نجاته إبراهيم عليه السلام إليها ، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧١).

فترتبط سيرة إبراهيم عليه السلام في جزء من أجزائها بهذه الأرض المباركة ، حيث إن الله ﷻ قد كتب له النجاة إلى هذه الأرض بعد أن كاد له قومه ، وأوقدوا النار لإحراق توحيدِه فأنجاه الله إلى هذه الأرض ، ويقول صاحب الظلال^(١) : « لقد ترك إبراهيم عليه السلام وطناً وأهلاً وقوماً فعوضه الله الأرض المباركة وطناً خيراً من وطنه ».

ولقد صحبه في رحلته هذه زوجته ، ومروا على بعض المدن الفلسطينية واستقروا في بئر سبع^(٢) .

(١) في ظلال القرآن : ٤ / ٢٣٨٨ .

(٢) إبراهيم طرابلسي : الإسلاميون والقضية الفلسطينية ، ص : ١١ .

ويذكر الطبري^(١) عن أبي بن كعب في قوله تعالى :
﴿ وَجِئْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾
(الأنبياء: ٧١) . أنها الشام ، وبيت المقدس من بلاد الشام ،
وما من ماءٍ عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي هي « بيت
المقدس » .

ويذكر ابن كثير في تفسيره^(٢) أن الله سبحانه وتعالى أنجى
إبراهيم عليه السلام فسلمه الله من نار قومه ، وأخرجه من بين
أظهرهم إلى بلاد الشام إلى الأرض المقدسة منها ، ثم ينقل
قول الطبري السابق .

ونقل عن قتادة أن إبراهيم عليه السلام كان بأرض العراق فأنجاه
الله إلى الشام ، وكان يُقال للشام عماد دار الهجرة ، وما نقص
من الأرض زيد في الشام ، وما نقص من الشام زيد في أرض
فلسطين ، وهي أرض المحشر والمنشر ، وبها ينزل عيسى ابن
مريم ، وبها يهلك المسيح الدجال^(٣) .

وعلى هذه الأرض المباركة عاش إبراهيم عليه السلام فترة من
الزمن ، وعليها رُزق إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل عليه السلام .

(١) تفسير الطبري ، ١٨ / ٤٧٠ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣٥٣ / ٥ .

(٣) دكتور سيد العفاني : واقداسه ، ١٣٠ / ١ .

وقد جاءت الملائكة تُبشِّرُ إبراهيم عليه السلام بالبشرى على الأرض المباركة ، وقد ظن إبراهيم أنهم ضيوف ، فأكرمهم كما تحدث القرآن عن كرمه وعن البشرى لإبراهيم ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلِمٌ فَمَا لَبَسَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا رِءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٦٧﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٦٨﴾ قَالَتْ يَوَيْلَتِي أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٠﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى مُجْتَدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧١﴾

(هود: ٦٩-٧٤) .

وكذلك جاء الحديث عن البشرى في سورة الحجر والعنكبوت والذاريات ، فكل أحداث البشرى لإبراهيم عليه السلام ونزول الملائكة وحديثهم مع إبراهيم وزوجه كان على أرض بيت المقدس .

وكل هذه الآيات التي تتحدث عن ذلك نتعبد لله تعالى بتلاوتها وقراءة كلماتها ، وهي تحكي مشهداً من حياة نبي الله

إبراهيم عليه السلام ، الذي يقول فيه ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَآلَهُ
أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الحج: ٧٨) فإن
كان إبراهيم عليه السلام قد عاش فترة من الزمن في هذه الأرض
المباركة فقد وُلد إسماعيل عليه السلام على هذه الأرض .

وكان إبراهيم وإسماعيل حلقة الوصل بين بلد الله الحرام
في مكة المشرفة وبيت المقدس في الأرض المباركة .

وقد ذكر البعض أن الطريق الذي كان يسير فيه إبراهيم عليه السلام
في رحلته بين المسجدين ، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ،
هو نفس الطريق الذي سار فيه رسول الله ﷺ في رحلة الإسراء
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ^(١) .

وفي حديث أبي ذر عندما سأل رسول الله ﷺ : يا رسول الله
أي المساجد وضع في الأرض أولاً ؟ قال : المسجد الحرام ،
قال : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى ، قال كم بينهما ؟ قال :
أربعون ^(٢) .

ويقول العلماء : إن إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع القواعد في
البيت الحرام كما أمره الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ

(١) دكتور سيد العفاني : واقدناه ، ١ / ١٣٠ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

أَلْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴿ البقرة: ١٢٧) ، وهو الذي جدد
بناء المسجد الأقصى في بيت المقدس أيضاً .

فإبراهيم عليه السلام حلقة ربط بين المسجدين ، وقد ربط القرآن
الكريم بين المسجدين برباط مكانة ، فمكانة أحدهما من
مكانة الآخر ، ونستطيع القول : إن إبراهيم عليه السلام قد ظل في
بيت المقدس فترة من الزمن ، مما يسمح له بتجديد المسجد
الأقصى ، وهو يتطلب الوقت الكثير في ذلك الزمن .

ويذكر البعض كذلك أن نبي الله إبراهيم عليه السلام قد عاش بقية
حياته في بيت المقدس ، وأنه توفي في بيت المقدس ، وأنه
دفن في الخليل في منطقة الحرم الإبراهيمي ^(١) ، الذي أعلن
اليهود تحويله إلى معبد من معابدهم ، ولم يتحرك لذلك
ساكن في الأمة .

وبالرغم من العلاقة التي تجمع بيننا وبين نبي الله
إبراهيم عليه السلام ، والتي تحدث عنها القرآن في قوله تعالى :
﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الحج: ٧٨)
فالعلاقة بيننا وبينه علاقة أبوة وبنوة .

(١) إبراهيم طرابلسي : الإسلاميون ، ص : ١١ .

ونحن أولى الناس به : ﴿ إِنِّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

. (آل عمران: ٦٨) .

وإبراهيم عليه السلام يُرسل رسالة لجميع الأمة في رحلة الإسراء
في وصية لنا ، والذي ينقلها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرأ أمتك
مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها
قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله
أكبر» ^(١) ... وذلك عندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الأرض
المباركة ، في هذه الرحلة المباركة ، ولكن كيف تلقى أبانا
إبراهيم عليه السلام وقد حول اليهود قبره ومسجده ، من مسجد
لتوحيد الله صلى الله عليه وسلم إلى معبد يهودي . . ؟ ولكل مسلم أن يتخيل
هذا المشهد يوم القيامة ، فماذا تقول لنبي الله إبراهيم عليه السلام ،
وبماذا تعتذر الأمة ؟

والآية التي تحدثت عن نجاة إبراهيم عليه السلام إلى الأرض
المباركة تحدثت كذلك عن نبي الله لوط عليه السلام الذي كان معه ،
وكانت له النجاة أيضاً ، والحق سبحانه وتعالى يذكره في
النجاة والوصول إلى هذه الأرض المباركة ذكراً صريحاً :

(١) رواه الطبراني في الكبير ، حديث رقم ١٠٣٦٣ . وفي الأوسط والصغير .

﴿ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ٧١) .

وكان بينهما رحم ، فقيل كان لوط ابن أخت إبراهيم عليه السلام ، وقيل ابن أخيه^(١) ، ونبي الله لوط تحدث عنه القرآن الكريم كثيراً ، وهنا القرآن يتحدث عن لوط وأنه قد وصل إلى هذه الأرض المباركة إلى أرض بيت المقدس ، وأنه عاش فيها مدة من الزمن ، وكانت له عليها دعوة ، وذكر البعض أنه توفي بقرية بني نعيم بجانب الخليل^(٢) .

(٣) نبي الله يعقوب عليه السلام :

لقد تحدث القرآن الكريم عن نبي الله يعقوب عليه السلام ، وهو حفيد نبي الله إبراهيم عليه السلام ، وهو الذي يطلق عليه «إسرائيل» أي عبد الله ، وهو ابن إسحق بن إبراهيم عليه السلام . وقد كان استقرار إسحاق عليه السلام بالأرض المباركة ، وكانت ذريته من بعده تعيش على هذه الأرض .

وتحدث القرآن الكريم عن يعقوب بن إسحاق وأسرته ، في سورة كاملة تسمى باسم حفيد إسحاق عليه السلام وهي سورة يوسف عليه السلام ، وبعض أحداث هذه القصة وقعت على هذه

(١) تفسير القرطبي ، ٣١/٧ .

(٢) إبراهيم طرابلسي : الإسلاميون ، ص : ١٢ .

الأرض المباركة التي وُلد عليها يوسف عليه السلام ، وعاش عليها مدة من الزمن في طفولته .

وعليها كانت رؤياه : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (يوسف: ٤) ، وعلى أرضها تأمر عليه إخوته ، وفي بئر من آبارها ألقى يوسف عليه السلام ، حيث يروي الطبري عن عبد الرزاق عن محمد عن قتادة أن البئر في قصة يوسف ، هو بئر في بيت المقدس ^(١) .

هذا البئر الذي وصفه الكثيرون من المفسرين بأوصافٍ متعددة ، وعلى أرضها بيع يوسف عليه السلام بثمنٍ بخس دراهم معدودة للسيارة ، وبقي يعقوب عليه السلام وأخوة يوسف يعيشون على أرض بيت المقدس ، إلى أن دخلوا مصر بسلامٍ آمنين .

(٤) نبي الله موسى عليه السلام :

تحدث القرآن الكريم عن قصة موسى عليه السلام كثيراً ، وحديث القرآن عن نبي الله موسى عليه السلام يجعل الأرض المقدسة محوراً أساسياً من محاور قصة موسى عليه السلام ، بل هي قضية موسى عليه السلام بعد توحيد الله تعالى .

(١) تفسير الطبري ، ٥٦٦/١٥ .

فمهمة موسى عليه السلام هي الدعوة إلى التوحيد ، وأن يخرج
 قومه من ذل الفراعنة إلى الأرض المباركة : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ
 مُوسَىٰ أَنْ آتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۗ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٠١﴾ قَالَ
 رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٠٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي
 فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٠٣﴾ وَهَمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٠٤﴾ قَالَ
 كَلَّا ۖ فَادْهَبَا بِعَائِيتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٠٥﴾ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ
 فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ ﴿١٠٧﴾

(الشعراء: ١٠-١٧) .

فموسى عليه السلام مكلف من ربه بالخروج بالموحدين من
 مصر إلى الأرض المباركة ، ولأجل هذه المهمة تغير العديد
 من نوااميس الكون حتى ينجو أهل التوحيد من أرض عاشوا
 عليها أدلة إلى أرض تكون عليها عزتهم .

بداية من ميلاد موسى عليه السلام بعيداً عن عيون فرعون ،
 وحفظ الله تعالى لموسى وهو في اليم تحركه الأقدار ليصل إلى
 قصر فرعون ، ويجري الله سبحانه وتعالى قدره على لسان
 زوجة فرعون : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۖ ﴿٩﴾

(القصص: ٩) .

لينشأ موسى عليه السلام بين الفراعنة ، كل هذه أقدار الله سبحانه وتعالى يجريها على خلقه ؛ لينجو موسى عليه السلام بالموحدين ، ويصل بهم إلى الأرض المباركة .

وتكتب النجاة لموسى عليه السلام ومن معه من الله سبحانه وتعالى ، بسنن الله في كونه من أجل الموحدين ، حيث أمر الله ﷻ موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه . . . : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَمْحَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الشعراء: ٦٣-٦٥).

فلقد أجرى الله سبحانه وتعالى تغيير نواميس كونه حتى يخرج بنو إسرائيل من ذل الفراعنة وقهرهم إلى أرض يعيشون عليها أعزة .

إلا أنهم قد ألفوا المذلة والهوان ، وأن يكونوا عبيداً بين يدي ساداتهم فسقطت همتهم واثاقلوا إلى الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ يَا قَوْمِ أَدْخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ

وإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ نَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن نَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا
دَخَلُونَا ﴿٢٠﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا
أَدْخِلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ
فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا
دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَقِيلَ إِنَّا هَهُنَا قَبِعُدُونَ ﴿٢٢﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي
الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿المائدة: ٢٠-٢٦﴾ .

أنجاهم الله سبحانه وتعالى من فرعون وجنوده بسننه في
كونه ، وبغير حول منهم ولا قوة ، وعندما أمرهم نبيهم عليه السلام
أن يدخلوا الأرض المقدسة تعدت بهم همتهم ، ولم تحركهم
عزيمة ، وقالوا : إن فيها قوماً جبارين : ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِن فِيهَا
قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ نَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن نَخْرُجُوا مِنْهَا
فإِنَّا دَخَلُونَا ﴿٢٠﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمَا أَدْخِلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِونَ وَعَلَىٰ
اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا
أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَقِيلَ إِنَّا هَهُنَا
قَبِعُدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿المائدة: ٢٢-٢٤﴾ .

فكان حكم الله سبحانه وتعالى ، ذلك الحكم الأبدي فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض .

فكتب الله سبحانه وتعالى عليهم التيه في الأرض ، حتى ينقرض ذلك الجيل الذي ألف الذل والهوان والاستعباد ويخرج جيل آخر تربى في الصحراء ، وتأثر ببيئتها حتى تكون عندهم من العزة والكرامة ما يمكنهم من الوصول إلى الأرض المقدسة ، وحمل راية الجهاد والتوحيد .

وفي هذه السنوات - سنوات التيه - مات هارون عليه السلام ، ومن بعده موسى عليه السلام ليكمل فتاه مسيرته من بعده ، وهو يوشع ابن نون ^(١) .

ويروي الطبري ^(٢) عن قتادة أن يوشع بن نون أحد الرجلين اللذين قالوا لبني إسرائيل: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة: ٢٣).

ويتحدث القرآن الكريم عن قيادة يوشع بن نون: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَزِيدْ

(١) تفسير الطبري ، ١٣٠/٢ ، ٢٩٣/٥ .

(٢) نفسه ، ٢٩٣/٥ .

الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

(البقرة: ٥٨، ٥٩).

ويتحدث رسول الله ﷺ عن دخول يوشع بن نون لبيت المقدس في الحديث: «لم تحبس الشمس لأحد من الناس إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»^(١).

والتوراة تسمي يوشع باسم يشوع، وتحدث أيضاً عن حبس الشمس ليوشع بن نون عند فتحه لبيت المقدس^(٢).

وقد دخل يوشع بيت المقدس كما أخبر القرآن الكريم، ويذكر ابن كثير^(٣) أن يوشع أمرهم أن يدخلوا ساجدين لله شكراً، وأن يدعو الله ﷻ أن يغفر لهم ذنوبهم.

ولكن اليهود غيروا وبدلوا وحرفوا: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩).

(١) رواه الإمام أحمد: المسند حديث رقم ٨٢٩٨، وابن عساكر.

(٢) سفر يشوع ١٠/١٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ٢٧٤/١.

عَلَيْهِمْ أَلْقَتَالُ قَوْلُوا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾
 وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى
 يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً
 مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ
 وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

(البقرة: ٢٤٦، ٢٤٧).

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل ، واختار
 لهم طالوت ليكون ملكاً عليهم يقودهم إلى النصر ، وأن
 علامة ذلك أن يأتيهم التابوت ثانية ، ويتحدث القرآن الكريم
 عن قيادة طالوت للموحدين من بني إسرائيل على هذه
 الأرض في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ
 اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ
 فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
 بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْقُوا اللَّهَ كَم
 مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٦﴾
 وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ
 صَبْرًا وَثَبَّتْ
 أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين ﴿٢٤٧﴾ فهزموهم بإذن
 الله وقتل داود جالوت وعاتته الله الملك والحكمة وعلمه

(٥٣ : بيت المقدس)

مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ
الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿

(البقرة: ٢٤٩-٢٥١) .

فكل هذه الأحداث التي يذكرها القرآن الكريم هي أحداث وقعت على هذه الأرض المباركة وهي تؤرخ لفترة من تاريخ هذه الأرض المقدسة ، ودعوة الأنبياء فيها ، وأحوال الموحدين عليها .

وكذلك نتحدث عن المعجزات^(١)، والآيات الواقعة على هذه الأرض المباركة ، فهي أرض الأنبياء ، وهي أرض المعجزات ، فهي من أكثر الأماكن ذكراً في القرآن الكريم .

وقد ذكر في الآيات السابقة أيضاً حديث القرآن عن نبي الله داود عليه السلام على هذه الأرض .

(٥) نبي الله داود عليه السلام :

القرآن الكريم يتحدث عن نبي الله داود عليه السلام الذي جاء يدعو إلى توحيد الله تعالى، وكل مسلم يؤمن بنبي الله داود عليه السلام، والآيات السابقة تتحدث عن قتل داود لجالوت ، وكان داود

(١) سوف أتحدث عن المعجزات الواقعة عليها ، إن شاء الله .

أصغر الجيش سنًا ، وأن ذلك حدث من أجل هذه الأرض المباركة ، ودفاعاً عن الأرض المقدسة ، من اعتداءات أهل الكفر ، وقد تحدث القرآن الكريم عن نبي الله داود كثيراً ، فهو نبي وملك يعيش في بيت المقدس ، وعليها دعوته ، وفيها حكمه وملكه ، وتحدث عن عبادته لربه ، وحكمه بين الناس ، وكذلك تحدث عن عمل داود عليه السلام على هذه الأرض ، وأنه كان يأكل من عمل يده .

فالقرآن يتحدث عن عمله : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٨٠) ، فكان يعمل حداً صانعاً للدروع وغير الدروع ، فإن كلمة «لبوس» تحتوي على جميع أنواع السلاح ، درعاً كان أو جوسقاً أو سيفاً أو رمحاً^(١) .

ويبدو أن بيت المقدس قد سبقت غيرها في هذه الصناعة ، وأن أول من صنع ذلك هو نبي الله داود عليه السلام ، وأن السلاح والتحصن قبله كان من الخشب ، وأن الله سبحانه وتعالى قد علمه وَأَلِّمَهُ التَّقْدِيرَ فِي السِّرِّ : ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدِيرٍ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سبأ: ١١) ،

(١) تفسير الطبري ، ٤٨٠/١٨ .

والسرد هو مسمار خلف الدرع^(١)، وتقديرها بقدر معين وفي موضع معين من الدرع .

وهذا تأريخ لهذه الصناعة على هذه الأرض المباركة ولحياة نبي الله داود عليه السلام على هذه الأرض .

وكما تحدث القرآن عن عمل داود عليه السلام على هذه الأرض المباركة تحدث كذلك عن حكم داود عليه السلام على هذه الأرض ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْخَيْبِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ (الأنبياء: ٧٨، ٧٩).

وحديث القرآن عن حكم داود عليه السلام : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْخَيْبِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧٨).

البعض يظن أن داود كان أقل حكمة في حكمه من ابنه سليمان ، ولكن من يقرأ الآية يعلم أن ذلك من قدر الله تعالى إظهاراً لورثة سليمان عليه السلام لأبيه . وأن دواود عليه السلام كان مؤيداً

(١) تفسير الطبري ، ٢٠/٣٦٠ - ٣٦١ ، تفسير ابن كثير ، ٥/٢٥٨ . تفسير القرطبي ، ١٤/٢٦٧ .

في حكمه من الله ﷻ ، ويجب أن تعلم أن نبي الله داود عليه السلام مؤيد بالوحي من ربه في سائر أحكامه ، حتى لا يظن أحد أنه كان يجانبه الصواب في حكمه .

والحق سبحانه وتعالى تحدث عن عبادة نبيه داود عليه السلام على هذه الأرض المباركة ، وهو صاحب الصوت الجميل العذب ، الذي يسبح ربه سبحانه وتعالى فتشدوا معه الطير ، وتقف في جو سماء الأرض المباركة مسبحة وتستمع لتسبيح داود عليه السلام .

ذلك الذكر الذي جعل الحديد يلين في يد نبي الله داود :
﴿ وَاللَّاتُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴾ (سبأ: ١٠).

ويتحدث القرآن عن تسابق جميل فريد بين نبي الله داود والكون من حوله حتى الجبال لها معه ذكر .

وانظر إلى فضل ذلك النبي على هذه الأرض المباركة ، وتجاوب عناصر الكون فيها مع نبي الله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَاللَّاتُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴾ (سبأ: ١٠) الكل يسبح ، الكل يذكر ، الكل في عبادة الله سبحانه وتعالى ، الأرض - المباركة - وما عليها ، والطير في جو سمائها ، والحديد بين يدي نبيها ، الكل خرج عن طبيعته مع صاحب الصوت الحسن .

وخير الصيام ، كما قال رسول الله ﷺ : « أحب الصيام إلى الله صيام داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً »^(١) ، نعم حق للجبال أن تُسبح ، وللطير أن تشدو ، وللحديد أن يلين ، استجابة للمسيح الموحّد داود عليه السلام : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧٩) .

ولك أن تُعايش هذا التجاوب والتجاذب بين عناصر الكون ، وكل هذا الفضل لذلك النبي ؛ لأن الله أعطاه هذا الفضل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ (سبا: ١٠) .

ولك أن تتخيل كل هذا الفضل يُعطى لسليمان بن داود وزيادة .

(٦) سليمان عليه السلام :

لقد ورث سليمان أباه عليه السلام ورث العبادة : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص: ٣٠) ، وورث الملك : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾

(النمل: ١٦) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

وتكتمل صورة هذا التناسق في أروع صورته في حياة سليمان عليه السلام ، فلقد وصفه ربه أنه نعم العبد ، فقد كان عبداً زاهداً مسبحاً ، وصفه القرآن في عبادته بوصف أبيه : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص: ٣٠) .

وكذلك ورث هذا الملك عن أبيه وزيادة ^(١) ، فكان بيت المقدس في عهده حجر الزاوية في الدنيا بأسرها ، فهي حاضرة التوحيد ، وفيها ملك نبي الله سليمان عليه السلام ، ذلك الملك الذي تحدث عنه القرآن فقال : ﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِن لَّا الشَّيْطِينُ كَفَرُوا ﴾ (البقرة: ١٠٢) .

هذا الملك العريض الذي دان لعبد الله وبنيه سليمان عليه السلام ، وقد سخر الله له العديد من عناصر الكون ؛ تحقيقاً لدعوة ذلك العبد الذي قال : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَخِي مِنِّي بَعْدِي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (ص: ٣٥) .

انظر إلى حديث القرآن عن ملك سليمان عليه السلام على بيت المقدس ، وقد تحدث عن كثير من عناصر هذا الملك .

(١) تفسير الطبري ، ٤٨٢/١٨ .

فقد تحدث القرآن عن الرياح في هذا الملك حيث يقول :
﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَاب ﴾ (ص: ٣٦).

وكذلك في سورة الأنبياء : ﴿ وَاسْلَيْمَنْ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي
بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴾
(الأنبياء: ٨١) .

فالرياح في مملكة سليمان ، سخرها الله له تجري بأمره
حيث يشاء ﴿ وَاسْلَيْمَنْ الرِّيحَ غُدُوهاً شَهْرٌ وَرَوْاحُهاً شَهْرٌ ﴾
(سبأ: ١٢) ، وإلى أي مكان يريد^(١)، هل حدث ذلك لغير
سليمان ﷺ ومستقر ملكه هو بيت المقدس ، وعهد
سليمان ﷺ إذا استطعنا القول تسمية عصره «عصر سيادة
بيت المقدس» بلغة المؤرخين ، وقد تحدث المفسرون كثيراً
عن الريح في ملك سليمان ﷺ .

ومما دان لسليمان ﷺ في هذه المملكة العجيبة ، الجن
وهو مسخر بين يدي سليمان ﷺ بأمر الله ﷻ والقرآن
يتحدث في هذه المملكة : ﴿ وَاسْلَيْمَنْ الرِّيحَ غُدُوهاً شَهْرٌ
وَرَوْاحُهاً شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ

(١) ريح رخوة لينة ليست بعاصفة ولا بطينة ، وهي ريح طيبة كذلك . تفسير
الطبري ، ٢٠٢/٢١ .

يَدِيهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٤﴾
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ۗ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشُّكُورِ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِمْ إِلَّا دَابَّةُ
الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۗ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا
يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿سبأ: ١٢-١٤﴾ .

ولك أن تتخيل هنا الملك المُسخر فيه الجن لا يستطيع
أحدهم الفرار عن أمر سليمان عليه السلام ، انظر إلى أعمال الجن
تنفيذاً لأمر النبي الملك : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ
وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ﴾ (سبأ: ١٣) .

وتحدث القرآن الكريم عن عمل الشياطين كذلك بين يدي
سليمان عليه السلام : ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ
وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾

(الأنبياء: ٨٢).

وانظر إلى حفظ الله تعالى للشياطين في ملك سليمان عليه السلام ،
إنه ملك لا يكون لأحد بعد سليمان عليه السلام ؛ لأن الله أراد ذلك
واستجاب لدعائه : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي
لِي أَحَدٌ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (ص: ٣٥) .

وهنا القرآن يتحدث عن غوص الشياطين في باطن الأرض ، في هذا الملك ، وتحدث كذلك عن القطر يخرج سائلاً بأمر الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ (سبأ: ١٢) يخرج للناس سائلاً مذاباً بأمر الله سبحانه وتعالى .

تحدث القرآن الكريم عن هذا الجيش العجيب الفريد لسليمان عليه السلام ومستقره وقيادته وتجمعه على الأرض المباركة .
﴿ وَحِثْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (النمل: ١٧).

ولك أن تتخيل الجيش المكون من الجن والإنس والطيير يجتمع على الأرض المباركة ويخرج من عليها يرفع راية التوحيد ويعبد العباد لعبادة رب العباد .

لك أن تتخيل هنا التماسق بين عناصر هذا الجيش الذي يقوده سليمان عليه السلام ، الرياح مسخرة بأمره ، الجن تعمل بين يديه ، الطير تُكلمه ، والكل يخرج يدعو لتوحيد الله ﷻ .

ألم يكن الهدهد ، الذي يُسجل القرآن الكريم كلماته تعبد الله ﷻ بها فرداً من أفراد هذا الجيش ، وذلك الهدهد الذي يغار على توحيد الله ﷻ عندما رأى البعض من الناس يتعبدون لغير رب الناس : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى

أَلْهَدُهُدْ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ
 لَأَذْنَعَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي
 وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ
 ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ
 الشَّيْطٰنُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا
 يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
 تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾
 ﴿٢٧﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٢٨﴾ أَذْهَبَ
 بِكِتٰبِي هٰذَا فَأَلْقَهٗ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾

(النمل: ٢٠-٢٨) .

ألم يكن هذا الحديث بين نبي الله سليمان وأحد جنوده من
 الطير حدثاً عجيباً على أرض بيت المقدس ، نعم ، وسليمان
 يتحدث عن فضل الله ﷻ عليه فيقول : ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 عَلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هٰذَا هُوَ الْفَضْلُ
 الْمُبِينُ ﴾ (النمل: ١٦) .

إنه ذلك الملك النبي الذي حاضرة ملكه «بيت المقدس» ،
 والذي يتسم ضاحكاً من قول نملة : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ
 النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسٰكِنِكُمْ لَّا يَحْطِمَنَّكُمْ

سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ بِنِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ (النمل: ١٨، ١٩) .

لقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الملك النبي الذي يستقر على الأرض المباركة ، وعليها ملكه ، كيف دانت له الملوك في هذا الزمن : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَيْدَةَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١٨﴾ لِأَعَذِبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْحَكْتَهُ أَوْ لِيَأْتَنِي سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حِطُّ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ إِنْدِي يُقِينُ ﴿٢٠﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٤﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٥﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُو إِنَّيَأْتِيَ إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ ﴿٢٧﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ
تَشْهَدُونِ ﴿٣﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِي شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ
فَأَنْظِرِي مَاذَا نَأْمُرِينَ ﴿٤﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٥﴾ وَإِنِّي
مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ
سُلَيْمَنُ قَالَ أْتِمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْتُكُمْ بَلْ
أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٧﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ
لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٨﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا
أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٩﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ
مِنَ آلِجَنْ أُنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ
لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿١٠﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ
قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن
فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ قَالَ نِكْرُوا هَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْتَدِي
أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَتَذَوْنُ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ
قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَصَدَّهَا
مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٤﴾ قِيلَ لَهَا

أَدْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿النمل: ٢٠-٤٤﴾ .

نعم لقد أتت ملكة سبأ لنبي الله سليمان عليه السلام ، وأصبحت من المسلمين الموحدين ، ألم يستقر عرشها على أرض بيت المقدس : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (النمل: ٤٠) .

ألم يكن حديث القرآن عن كل هذه الأحداث على هذه الأرض المباركة حديثاً عن هذه الأرض ، في عصر سيادته ، ألم يكن بيت المقدس حجر الزاوية في كل هذه الأحداث !

هل حدث ذلك لغير هذا النبي الموحّد ، والذي يدعو إلى التوحيد ، ونحن أولى الناس به وبميراثه من التوحيد ومقدساته التي أقامها لتوحيد الله ﷻ ... إنه أقام المساجد لعبادة الله ﷻ وتوحيده ، ولم يقم هياكل وثنية على غرار المعابد الوثنية ، والتي فيها المنابح والثالوث المقدس وغيره من وثنية لا تدين لله ﷻ .

وللقارئ الكريم أن يعقد مقارنة بين توكير القرآن الكريم لنبي الله سليمان عليه السلام ، وبين حديث التوراة عن سليمان

بحديث لا يليق برجل مؤمن ، فضلاً عن أن يكون نبياً من
أنبياء الله ﷺ .

(٧) آل عمران :

وكما تحدث القرآن الكريم عن تفضيل الله ﷻ لهذه الأسرة
التي ملكت في بيت المقدس وحكمت ، ولها من العبادة لله ﷻ
ما لها ، فكذلك تحدث عن أسرة عابدة ارتبطت ببيت
المقدس ؛ لأنها تقوم على الدعوة إلى الله ﷻ ، والقيام على
أمر بيوت العبادة التي أقيمت لتوحيد الله ﷻ على الأرض
المباركة ، إنها أسرة « آل عمران » .

فلقد تحدث القرآن عن اصطفاء هذه الأسرة .

إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على
العالمين : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ (آل عمران: ٣٣، ٣٤) . فعلى هذه الأرض المباركة عاش
زكريا عليه السلام بعضاً من الزمن ، وهو النبي المتعبد لله ﷻ ،
والذي تحدث القرآن الكريم عن دعائه : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا
زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ
الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ (آل عمران: ٣٨) ، ﴿ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٣٩﴾ إِذْ

نَادَى رَبَّهُ يَدَاؤُهُ حَفِيًّا ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ
 الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿١١﴾ وَإِنِّي خِفْتُ
 الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
 ﴿١٢﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿١٣﴾ يَزَكَرِيَّا
 إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿١٤﴾ قَالَ
 رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ
 الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ
 خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ
 آيَتُكَ الْأُتَى نَكَلِمَ النَّاسِ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٧﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ
 مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٨﴾ (مریم: ۲-۱۱).

إنها دعوات متكررة من نبي الله زكريا عليه السلام ، وهو الذي
 جاءت إليه البشري ، وهو في محراب من محاريب بيت
 المقدس ، وتحدث القرآن الكريم عن حوار زكريا عليه السلام
 والملائكة التي جاءت إليه بالبشري من عند ربه بسلام اسمه
 « يحيى » ، ألم يكن هذا الحوار في محراب من محاريب بيت
 المقدس : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ
 يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ
 الصَّالِحِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ

وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٦٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزَأً وَأَذْكَرَ رُتُكَ كَثِيرًا وَسَخٍ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٦١﴾ (آل عمران : ٣٩-٤١) ،
﴿ يَنْزَكِرِيًا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٦٣﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتَلَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٦٤﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿٦٥﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٦﴾

(مریم: ٧-١١) .

كل هذا حدث مع نبي الله زكريا عليه السلام على أرض بيت المقدس ، تلك الأرض التي وُلد عليها يحيى عليه السلام ، والذي تحدث عنه القرآن الكريم : ﴿ يَنْحَتِي خُدَّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ﴿٦٥﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿٦٦﴾ وَرَبًّا بَوْلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿٦٧﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿٦٨﴾ (مریم: ١٢-١٥) .

ذلك النبي الذي عاش يدعو إلى الله تعالى وتوحيده ، على أرض بيت المقدس ، والذي استشهد على هذه الأرض المباركة ،

(٦م : بيت المقدس)

تلك الأرض التي ظل دم نبي الله يحيى عليه السلام يفور عليها ،
حتى أرسل الله من ينتقم من قاتليه^(١) .

وكما تحدث القرآن الكريم عن الرجال في هذه الأسرة ،
فكذلك تحدث عن النساء ، فتحدث عن امرأة عمران ، والتي
دعت الله سبحانه وتعالى بهذه الدعوات التي يسجلها القرآن
الكريم . إذ قالت امرأة عمران : ﴿ إِذْ قَالَتْ أَمْرَأْتُ عِمْرَانُ رَبِّ
إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ
وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ
وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا
الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنمَرِمْ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

(آل عمران: ٣٥-٣٧) .

ويقول ابن كثير^(٢) محرراً ، أي خالصاً مفرغاً للعبادة ،
ولخدمة بيت المقدس ، ومن أجل هذه الدعوات الخالصة

(١) كان الأسر البابلي بعد قتل نبي الله يحيى عليه السلام بوقت قصير .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٢/٢٣٢ .

اللهُ ﷻ ، تُرْزَقُ امْرَأَةٌ عَمْرَانُ بَخِيرٌ نَسَاءِ الْعَالَمِينَ ، عَلَى أَرْضِ
 بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَوُلِدَتْ مَرْيَمُ ، مَرْيَمُ أُمُّ عِيسَى ﷺ ، إِنَّهَا مَرْيَمُ
 الَّتِي يَقُولُ عَنْهَا رَبُّنَا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ، وَالَّتِي عَاشَتْ
 عَلَى أَرْضِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ لَخِدْمَةِ بَيْتِ اللَّهِ بِبَيْتِ الْمَقْدَسِ ، وَالَّتِي
 تَقْبَلُهَا رَبُّهَا : ﴿ فَتَقْبَلُهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأُنْبِتَهَا نَبَاتًا
 حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ
 عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ
 اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران: ٣٧).

وتحدث القرآن الكريم عن مريم كثيراً ، تحدث عن طفولتها
 والمؤمنون يتسابقون إلى كفالته ، حيث يقول : ﴿ ذَلِكَ مِنْ
 أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمْنَاهُمْ
 أَنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾
 (آل عمران: ٤٤) .

كما تحدث عن كفالة زكريا ﷺ لمريم على أرض بيت
 المقدس ، وهي ترتبط بمحراب من محاريب بيت المقدس ،
 كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا : ﴿ كُلَّمَا
 دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ
 هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
 (آل عمران: ٣٧).

فهذا الرزق يأتي لمريم في محراب من محاريب بيت المقدس ، هذا الرزق الذي يقول عنه المفسرون ^(١) : إنه كان يأتيها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، أو تأتيها الفاكهة في غير حينها .

فجاءت البشرية لمريم على أرض بيت المقدس ، كما تحدث القرآن عن عبادة مريم واصطفاء الله ﷻ لها : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰنِكَ وَطَهَّرَكِ وَاَصْطَفٰنِكَ عَلٰى نِسَاءِ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٤٣﴾ يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاَسْجُدِي وَاَرْكَعِي مَعَ الرّٰكِعِيْنَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (آل عمران: ٤٣، ٤٤) .

ويتحدث القرآن عن اتخاذ مريم مكاناً شرقي المسجد الأقصى في بيت المقدس ، ويتحدث عن إرسال الملائكة بالبشرى لها : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٨﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٢﴾ قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ﴿٢٣﴾ ﴾

(١) تفسير الطبري ، ٣٥٦/٦ ، تفسير ابن كثير ، ٣٦/٢ .

وَكَانَ أَمْرًا مُقْضِيًا ﴿١٦﴾ • فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿١٧﴾
 فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ
 هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿١٨﴾ فَتَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ
 جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿١٩﴾ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ
 عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٠﴾ فَكَلِمَ وَأَشْرَبِي وَقَرِي عَيْنًا ﴿٢١﴾ فَلَمَّا تَرَيْنَ مِنَ
 الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
 إِنْسِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا
 فَرِيًّا ﴿٢٤﴾ يَتَأَخَذُ مَهْرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ يَغِيًّا
 ﴿٢٥﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَتْ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٦﴾
 قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
 أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢٨﴾ وَرَبًّا
 بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَفِيًّا ﴿٢٩﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
 أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٠﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
 الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣١﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا
 قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٢﴾ (مرم: ١٦-٣٥).

كما تحدث القرآن الكريم كذلك عن أماكن لها مع مريم
 مواقف في بيت المقدس ، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى :
 ﴿ فَتَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (مرم: ٢٤)

جدول من الماء يجري من تحتها ^(١) ، ألم يكن في أرض بيت المقدس !

وكذلك يتحدث عن النخلة : ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ (مریم: ٢٥) ألم يكن ذلك في بيت المقدس ، ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رِنوةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٥٠) .
(٨) عيسى عليه السلام :

وفي المكان الشرقي من بيت المقدس ، ولد عيسى عليه السلام :
﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٥) ، فلقد ولد عيسى عليه السلام آية من آيات الله على هذه الأرض المباركة : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ٱلَّذِي خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

(آل عمران: ٥٩) .

وعلى هذه الأرض كانت معجزات عيسى عليه السلام « ابن مريم » ، وعليها كانت علوة اليهود لعيسى ابن مريم .

(١) تفسير الطبري ، ٢٩/١٥ .

وعلى هذه الأرض كانت محاولة اليهود قتل عيسى عليه السلام
 فرفعه الله إليه : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ
 وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ
 بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (آل عمران: ٥٥) .

وأن هذه الأرض المباركة لها موعد آخر مع نبي الله عيسى
 ابن مريم عندما ينزل يحكم شرع الله ويقتل الدجال .

ولك أن تنظر كيف أن القرآن الكريم يتحدث عن الأرض
 المباركة على اختلاف الزمن ، ويؤرخ لهذه الأرض في كثير
 من عهودها .

حتى وقت خرابها كذلك يتحدث عنها القرآن الكريم ،
 وذلك في فترة الأسر البابلي في الآية : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ
 وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
 فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ
 بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ
 لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ
 إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِئُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
 قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٩) .

وقد أجمع أهل التفسير^(١)، أن ذلك كان على أرض بيت المقدس ، وأثناء الأسر البابلي .

(٩) نبي الله محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين :

يرسله ربه ويختتم به الرسائل السماوية ، وتسلم الحبيب محمد هذا المكان المبارك في حفل باركته السماء ، في رحلة الإسراء ، التي جاءت لحكمة سامية : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

فكانت إعلاناً عن ميراث الرسول الخاتم لمفاتيح هذا المكان ، وتساءل أمته عن هذا المكان إلى يوم الدين . ويتفق العلماء على أن رحلة الإسراء جاءت لحكمة أرادها المولى ﷺ ولغاية سامية ، فيقول صاحب الظلال^(٢) : « الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير ، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - إلى رسول الله محمد ﷺ ، خاتم النبيين ، تربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً ، أو كأنه أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثه

(١) تفسير الطبري ، ٤٤٣/٥ ، تفسير ابن كثير ، ٦٨٨/١ .

(٢) في ظلال القرآن ، ٢٢١٢/٤ .

الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعاً .

وقد شاءت إرادة الله ، أن تبدأ هذه الرحلة في هذه الليلة المباركة من بلد الله الحرام إلى المسجد الأقصى في الأرض المباركة ، ولم يكن هذا جزافاً ، بل كان بتدبير إلهي ، ولحكمة ربانية ، وهي أن يلتقي خاتم الرسل والنبيين في الأرض المباركة بالرسول الكرام جميعاً ، ويصلي بهم إماماً .

وفي هذا إعلان عن انتقال القيادة الربانية إلى أمة جديدة ورسول جديد وكتاب جديد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أمة عالمية وكتاب عالمي ^(١) .

ولكن لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ، ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة ؟ ويجيب الشيخ الغزالي ^(٢) رحمه الله قائلاً :

« إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم ، فقد ظلت النبوات دهوراً طويلة وهي وقف على بني إسرائيل ، وظل بيت المقدس مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض ، وقصة الوطن المحبب إلى شعب الله المختار - حينذاك ، فلما أهدر

(١) دكتور يوسف القرضاوي : القدس قضية كل مسلم ، مكتبة وهبة القاهرة ص : ٧ .

(٢) محمد الغزالي : فقه السيرة ، ص : ١٠٣ .

اليهود كرامة الوحي ، وأسقطوا أحكام السماء ، حلت بهم لعنة الله ، وقدّر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد ، ومن ثمّ كان مجيء الرسالة إلى سيدنا محمد ﷺ انتقالاً بالعبادة الروحية في العالم من أمة إلى أمة ، ومن بلدٍ إلى بلد ، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل .»

ولو لم تكن القدس مقصودة في هذه الرحلة لأمكن العروج من مكة إلى السماء مباشرة ، ولكن المرور بهذه المحطة القدسية أمر مقصود ، كما دل على ذلك القرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

ومن ثمرات رحلة الإسراء الربط بين مبتدأ الإسراء ومنتهاه ، وبعبارة أخرى بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، وهذا الربط له إبحاؤه وتأثيره في وعي الإنسان المسلم بحيث لا تنفصل قدسية أحد المسجدين عن قدسية الآخر^(١) .

وفي رحلة الإسراء جمع الله سبحانه وتعالى الأنبياء كلهم في المسجد الأقصى ، فصلى بهم رسول الله ﷺ إماماً ، وإمامته ﷺ للأنبياء في المسجد الأقصى تدل على أنه الإمام المعظم ، والرسول المقدم^(٢) .

(١) دكتور يوسف الفرضاوي : القدس قضية كل مسلم ، ص : ٥ ، ٩ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ، ٣٥٤/٢ .

فكانت صلواته ﷺ بالأنبياء ليلة الإسراء إقراراً ضمنياً بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى البشر ، أخذت تمامها على يد الحبيب محمد ﷺ بعد أن وطئها العباد والصالحون من الأنبياء والرسل الأولين ، واستقر نسب المسجد الأقصى إلى الالتصاق بالأمّة التي أمّ رسولها سائر الأنبياء^(١) .

وصلاة الأنبياء في المسجد الأقصى مأمومون خلف رسول الله ﷺ يقدم لنا بعض الدلالات :

١- اعتراف هؤلاء الرسل والأنبياء بفضل رسول الله ﷺ ومنزلته ، ومكانته عند الله ، وتسليم منهم أنه أفضل الخلق وأكرمهم وأقربهم إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو إمام الخلق أجمعين ، وإمام النبيين والمرسلين في السير في طريق الله وفي القرب من الله ﷻ .

٢- اعتراف هؤلاء الأنبياء والمرسلين بختم الرسالة نبوة محمد ﷺ ورسالته ، فلا وحي بعده ولا نبي بعده ، ولا رسالة بعد رسالته ، وهو اعتراف منهم أيضاً بنسخ الرسالات برسالته ، ونسخ كتبهم بكتابه « القرآن » ، فلا عمل بالتوراة والزبور والإنجيل بعد نزول القرآن .

(١) دكتور سيد العفاني : واقدسناه ، ١٣٢/١ ، دار معاذ بن جبل ، سنة ٢٠٠١ .

٣- دعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين لأقوامهم بالدخول والتخلي عما كانوا عليه من اليهودية أو النصرانية ، إن أرادوا القبول عند الله ودخول جنته .

٤- تسليم هؤلاء الأنبياء مفاتيح الأرض المقدسة إلى سيدنا محمد ﷺ وأُمَّته فمعظم هؤلاء الأنبياء عاش على الأرض المقدسة مدة من الزمن ، وكانت فيها دعوتهم إلى أن جاء الحبيب محمد ﷺ في هذه الليلة فسلم الأنبياء له ولأُمَّته هذه الأرض المقدسة ورعايتها وحمايتها ، والخلافة فيها استمرار الإيمان عليها حتى قيام الساعة^(١) .

فإن كان ذلك في صلاة الرسول ﷺ بالأنبياء في المسجد الأقصى ، فمعجزة الإسراء والمعراج حافلة بالرموز والدلالات التي توحى بأهمية المكان المبارك ، وارتباطه بهذه الأمة المباركة ، ومسئولية هذه الأمة عنه أمام الله .

وهذه الرحلة المختارة من اللطيف الخبير بالحبيب محمد ﷺ ، والتي تحدث عنها القرآن الكريم ، وصدَّر الحديث عنها بسبحان ، قد جعلت رسول الله ﷺ يشاهد المكان مشاهدة تجعله خبيراً بمعالم هذا المكان ، وانظر إليه ﷺ وهو يتحدث عن الحلقة التي يربط بها الأنبياء ،

(١) دكتور سيد المفاني : واقداسه ، ص : ١٣٥ ، ١٣٦ .

وأنه ﷺ قد ربط البراق في الحلقة التي يربط فيها الأنبياء . وانظر إليه ﷺ وهو يصف المسجد الأقصى لقومه ، وكيف أن الله ﷻ قد جلاه له وهو يصفه لقومه .

ثم انظر إلى حديث رسول الله ﷺ ، وهو يتحدث عن قبر موسى ﷺ في الحديث الصحيح ويصف القبر وما حوله ... إن موسى ﷺ عند موته قد سأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر ، قال رسول الله ﷺ : فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر^(١) .

والحبيب محمد ﷺ له موعد آخر في هذه الأرض المباركة ، تحدث عنه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (القصص: ٨٥) .

روى ابن كثير^(٢) وابن أبي حاتم أن الميعاد إلى بيت المقدس يوم القيامة ؛ لأن بيت المقدس أرض المحشر والمنشر ، وفي قوله لرادك إلى ميعاد ، الرد فيه إشارة لمجيئته الأول ﷺ ليلة الإسراء .

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٢٦٣/٦ .